وفاة الشيخ سليم البشري

شيخ الازهر

في الضحوة الكبرى من يوم الجمعة لاربع خلون من شهر ذي الحجة الحرام توفي الاستاذ الاكبر الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الازهر عن عمر ناهز المئة سنة وقيل جاوزها ، وكان قبل يومين من وفاته سليما معافى، وقد نعته ادارة المعاهد العلمية في الازهر الى رؤساء الحكومة والجرائد اليومية بما نصه :

« أصيب المسلمون في مصر بفقد شيخ المسلمين وكبير علماء الدين حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الازهر ورئيس المجلس الاعلى للمعاهد العلمية والدينية الاسلامية »

« توفي الى رحمة الله قبيل ظهر اليوم (الجمعة ٢١ سبتمبر سنة ١٩١٧) بعد مالزم الفراش يومين كان من قبلهما ينهض باعباء المعاهد الدينية ويلقي دروسه العالية في الازهر بعزم قوي لاتفل منه الشيخوخة ولا يدركه هرم

«وستشيع جنازة الفقيد غدا السبت ٢٢ سبتمبر سنة ١٩١٧ الساعة ١١ صباحا من محطة كبري الليمون مارة بشارع كامل فشارع الموسكي الى الجامع الازهر حيث يجتمع وفود المشيعين من العلماء والطلاب وغيرهم للصلاة عليه . ثم تسير الجنازة الى مدافن السادات المالكية بقرافة الامام مارة بشارع الغورية فشارع المغربلين فشارع محمد علي ويلقي صاحب العزة حافظ ابراهيم بك على قبر الفقيد مرثاة من نظمه .

« أحسن الله عزاء المسلمين في فقيدهم الجليل وتولاه برضوانه ورحمته »

كانت وفاته في داره بالحلمية من ضواحي مصر وبدىء الاحتفال بتشييع جنازته في الوقت الذي ذكر في النعي وقد وصفت ذلك جريدتا الاهرام والمقطم بالتفصيل ، قالت الاهرام :

« فجيء بالجثة من الحلمية الى كبري الليمون بقطار خاص يصحبها أنجال الفقيد وأحفاده وآله وجمهور من العلماء والاعيان . وكان في انتظارها في محطة كبري الليمون نفسها من الداخل جمهور عظيم من كبار العلماء والموظفين الملكيين والعسكريين

والاعيان والتجار والمحامين يتقدمهم حضرة صاحب السعادة حسن عبد الرازق باشا وكيل الديوان العالي السلطاني بالنيابة عن صاحب العظمة السلطانية والكولونل ر.ف هربرت بالنيابة عن القومسير العالي البريطاني وحضرة صاحب المعالي ابراهيم فتحي باشا وزير الاوقاف العمومية بالنيابة عن رئيس الوزراء والميجر ه . م جريفس أحد أركان الحرب في الجيش البريطاني بالنيابة عن القائد العام فاللواء السيد علي باشا مساعد الادجوتانت الجنرال بالنيابة عن وزير الحربية فالقائمقام ادواردس بك بالنيابة عن سردار الجيش فحضرة صاحب المعالي محمود شكري باشا رئيس الديوان العالي السلطاني فحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية»

(ثم ذكرت وكلاء الوزارات باسمائهم وكبار الموظفين والوجهاء بالاجمال وخيالة البوليس فجمهور الطلاب الازهريين وطلبة مدرسة القضاء الشرعي ومدرسة ماهر باشا)

ثم وصفت الجريدة السير بالجنازة الى الازهر والصلاة عليها فيه وتأبين الفقيد كما بلغت ، ومنه ان المؤذنين كانوا يرتلون في المآذن التي مرت فيها الجنازة — وكذا في صحن الازهر — آيات الابرار أي الآيات التي وردت في وصفهم من سورة الانسان وهي قوله تعالى (ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا) الخ

وأقول ان هذا من البدع الخاصة بكبار رجال العلم الديني ومن ينزلونه منزلتهم ولذلك يظن الكثير من غير المسلمين ومن المسلمين الجاهلين الذين لا يعرفون السنن والبدع أنه من شعائر الدين . وللمؤذنين في قراءة هذه الآيات طريقة رديئة لو لم تكن قراءتها والاجتماع لها في المآذن والمساجد بدعا لكانت هذه الطريقة كافية في وجوب الانكار عليهم ووجوب منعهم من ذلك على القادر . ذلك أن يقطعون الآيات قطعا يقرأ بعضهم كلما منها يسكت في غير مواضع الوقف منها فيتم بعض آخر مابدأ كما يفعل الممثلون للقصص في الملاهي ، فيفصلون بين الصفة والموصوف ، والعامل والمعمول ، يقول بعضهم (ان الابرار يشربون من كاس) فيقول آخرون (كان مزاجها كافورا) ثم يقول بعضهم (عينا يشرب بها عباد الله) فيقول آخرون (يفجرونها تفجيرا) وهكذا يفرقون في قوله تعالى (يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا) بين يوما وما وصف به ، ولو تدبروا الآية لخافوا ان يعذبهم الله تعالى في ذلك اليوم على هذا التمزيق في قراءة كتابه . ومن غريب الاتفاق

اننا اقترحنا في جزء المنار الماضي على شيخ الازهر أن يسعى لابطال البدع من المساجد ولم يكد نوزع الجزء الا وقد قضي الشيخ نحبه ، فعسى أن يقوم بذلك خلفه

ثم قالت الاهرام : وكان الناس من وطنيين وأجانب وقوفا بالعشرات والمئات على جانبي الطريق يحيون الفقيد في مشهده و يترحمون عليه . ثم ذكرت وصول الجنازة الى الجامع الازهر في منتصف الساعة الاولى بعد الظهر والصلاة عليها وقراءة الشيخ محمد الحلاوي قصيدة من نظمه في رثاء الفقيد . وتلاه الشيخ محمد أبو العيون بتأبين منثور أشير اليه بأن يختصره لاجل التعجيل بالدفن المطلوب شرعا ففعل .

ثم حملت الجنازة من الازهر والمؤذنون يكررون الآيات التي تقدم الكلام عليها الى مقابر المالكية من قرافة الامام الشافعي رضي الله عنه ، وبعد مواراتها التراب أنشد محمد حافظ بك ابراهيم مرثيته وتلاه الشيخ محمد فراج المنياوي بتأبين نثري أساء فيه الاطراء فجعل فيه الفقيد من الخلفاء الراشدين بل فضله عليهم في التعبير . ثم عزى جمهور المشيعين أبناء الفقيد وانصرفوا

﴿ مرثية محمد حافظ بك ابراهيم ﴾

أيدري المسلمون بمن أصيبوا ... وقد واروا سليما في التراب
هوى ركن الحديث فأي خطب ... لطلاب الحقيقة والصواب
موطأ مالك عزى البخاري ... ودع لله تعزية الكتاب
فما في الناطقين فم يوفي ... عزاء الدين في هذا المصاب
قضى الشيخ المحدث وهو يملي ... على طلابه فصل الخطاب
ولم تنقص له التسعون عزما ... ولا صدته عن درك الطلاب
وما فلت قريحته الليالي ... ولا خانته ذاكرة الشباب
أشيخ المسلمين نأيت عنا ... عظيم الاجر موفور الثواب
لقد سبقت لك الحسنى فطوبى ... لموقف شيخنا يوم الحساب
اذا ألقى السؤال عليك ملق ... تصدى عنك برك للجواب
ونادى العدل والاحسان انا ... نزكي مايقول ولا نحابي
قضوا يا أيها العلماء وابكوا ... وروروا لحده قبل الحساب

فهذا يومنا ولنحن أولى يبذل الدمع من ذات الخضاب
عليك تحية الاسلام وقفا وأهليه الى يوم المآب

التعازي

ونشرت جريدتا الاهرام والمقطم تعزية برقية من نائب الملك لمدير المعاهد الدينية وأخرى للشيخ طه البشري أكبر أبناء الفقيد صرح فيهما بأن نعي الفقيد قد شق عليه كثيرا ودعا له بالرحمة والرضوان — و برقيتان أخريان بمعناهما من كبير الوزراء صرح فيهما بأنه أسف جدا لعدم إمكان تشييعه الجنازة بشخصه .

وقد تألف وفد من أنجال الفقيد ومراقب الازهر رأسه المدير العام للمعاهد الدينية الشيخ عبد الرحمن قراعة لاداء الشكر لرؤساء الحكومة وكبراء البريطانيين الذين اشتركوا في تشييع الجنازة بالذات أو بإنابة الوكلاء عنهم والمعزين فبدؤا بقصر عابدين وسجلوا أسماءهم في (دفتر التشريفات) ثم نائب وزير الحربية وادورودس بك لشكر السردار ثم الجنرال كليتون لشكر القائد العام للقوات البريطانية بمصر على ارساله مندوبا لتشييع الجنازة ثم وكيل الاوقاف لشكره وشكر الوزير وأرسلوا برقيات شكر الى نائب الملك ورئيس الوزراء وقومندان المحروسة ومحافظ العاصمة وحكمدارها

﴿ ترجمة الفقيد ﴾

نشرت جريدة الاهرام ترجمة وجيزة للفقيد قيل انها مستمدة من أهل بيته ملخصها : انه «ولد حوالي سنة ١٢٤٣ أو ١٢٤٤ في محلة بشر بمركز شبراخيت ولما شب حضر الى مصر لتلقي العلم وأقام تحت رعاية شيخه الشيخ بسيوني البشري من شيوخ المسجد الزينبي ، وانه تعب في طلب العلم تعبا شديدا ولقي من الدهر فيه مقاومات عظيمة، وانه كان يتعبد في المسجد الزينبي ليلا و يذهب الى الازهر نهارا لتلقي الدروس ، وان خاله عين أمينا لكساوي المحمل في أول ولاية سعيد باشا فخرج معه الى الحجاز حاجا « و بعد ان أدى فريضة الحج عاد الى مصر و بقي يشتغل بالتدريس حتى سنة ١٢٧٣ تقريبا »

= وأن أول عهده بالوظائف أن « عين إماما لمسجد إبنال بمرتب ٩٠ فضه في الشهر» «وفي سنة ١٢٩١ مات الشيخ علي العدوي فنيط به التدريس في المسجد الزينبي بدلا منه بمرتب مئة قرش في الشهر وعين وكيلا عن شيخ المسجد الزينبي لحداثة سنه

وهو الشيخ أحمد الصفتي الشيخ الخالي وتقي كذلك الى آخر ولاية اسماعيل باشا ثم عين إماما وخطيبا لمسجد زين العابدين ثم شيخا للمالكية بعد وفاة الشيخ عليش ثم شيخا للازهر لاول مرة في سنة ١٩٠١ وكانت مدته أربع سنين . وذكر من حبه للعلم وايثاره له أن تلميذه قدري باشا عرض عليه وظيفة بثلاثين جنيها فأبى مفضلا الانقطاع الى تعليم العلم . ولم يذكر تلك الوظيفة فالظاهر انه لم يكن يمكن الجمع بينها وبين التعليم .

وذكر مسألتين من خلائقه احداهما انه كان اختار الشيخ أحمد المنصوري شيخا الرواق الصعايدة فأبى قاضي مصر إقامته ناظرا على أوقاف الرواق فأصر صاحب الترجمة على تعيينه دون غيره « ورأى في العدول اهدارا لرأيه وبالغ في التشبث برأيه حتى فضل ترك المشيخة على التجاوز عن حقه المفروض بحكم القانون » والثانية أنه لما جدد المسجد الزينبي رأى رئيس مهندسي الاوقاف ان ينقل القبر المنسوب الى السيدة زينب بما فيه فعارضه الشيخ وأعلمه أن ذلك مخالف للشرع من وجوه عديدة، وانتهى الخبر الى الخديو محمد توفيق باشا فأمر ببقاء القبر في مكانه وترضى الشيخ فتم له ما أراد . ولما كانت نشأة الشيخ الدينية قد كانت في جوار ذلك الضريح وصار قيما له عدة سنين ظل محافظا على تعظيمه طول عمره ، ولا ندري أكان يعتقد أن السيدة زينب مدفونة في هذا المكان كما يظن عامة المصريين أم كان يرى ان نسبة القبر اليها كدفنها فيه ؟؟

وفي هذه الترجمة أغلاط وقصور . وقد علمنا من عالم من أكبر تلاميذ الفقيد وأعلمهم بترجمته انه سمع منه انه ولد في سنة ١٢٣٧ وانه جاء مصر في سنة ١٢٤٥ أو ١٢٤٧ وأقام عند خاله الشيخ بسيوني شلتوت المؤذن في مسجد السيدة زينب . ثم قضت الحال أن أرسله الخال الى الازهر

وقد رأينا في جريدة وادي النيل التي تصدر في الاسكندرية — وهي أرقى جريدة للمسلمين في هذا القطر — نعيا للفقيد وشيئا من حاله يبلغ زهاء نصف عمود بدأه بقوله : « نعت العاصمة الاستاذ الشيخ سليما البشري شيخ الجامع الازهر عن عمر طويل قضى شطره الاكبر في خدمة العلم وقضى أواخره في ولاية المشيخة الازهرية غير مرة . وكان رحمه الله في ولاية المشيخة ذا أنصار يحفون من حوله وخصوم

كثيرين يأخذونه بأمور ليس من المناسب ذكرها » ثم ذكر ان علماء الازهر متفقون على أنه أعلمهم بالحديث وان طريقته في قراءته انه كان يقرأ الحديث أولا على سبيل التبرك ثم يقرأه أحد الطلبة بصوت جهوري ثم يشرحه الشيخ بما شاء الله من علمه .

أقول وهذه المزية له مشهورة سمعتها من كثيرين وعليها بنى حافظ مرثيته ، وهي أعظم مزية تذكر له في هذا العصر الذي أهمل الازهريون فيه العناية بعلم السنة رواية ودراية حتى صار طلبة العلوم الدينية في ديوبند وغيرها من بلاد الهند يفضلون أكبر شيوخ الازهر في علوم الحديث . وانما كان الشيخ سليم البشري على حظ من علم الحديث لانه طلب العلم قبل هذا الجيل بجيلين وكانت كتب السنة لاتزال تدرس فى الازهر . وقد أدركنا من أقران الشيخ فى الطلب شيخ شيوخنا الشيخ محمود نشابه فألفيناه منفردا بعلوم الحديث، وقد كنت أقرأ عليه صحيح مسلم فيصحح لي أسماء الرواة وغريب الحديث ويجيبني عن كل ماأسأله عنه من المشكلات على البداهة من غير مراجعة شرح ولا كتاب آخر . فاذا رجعت الى تلك الكتب رأيت ماقاله هو الصواب . ولكن صاحب الترجمة لم يعمل شيئا لاحياء ماأندرس من علوم الحديث في الازهر في أيام رياسته ومشيخته

وعندنا ان أعظم مايذكر في تاريخ مشيخته للازهر قبوله للقانون الذى وضعته الحكومة له ولمعاهد التعليم الدينى التابعة له وتنفيذه اياه ، وقد بينا رأينا فيه في المجلد الرابع عشر من المنار ، ولا مجال لبيان ذلك ولا لما كان بين المترجم وبين الاستاذ الامام من الوفاق والخلاف في ادارة الازهر ، وانما أقول ان المترجم كان حريصا على نيل رضاء السلطة العليا في كل وقت ، وقد فصلنا ذلك بعض التفصيل في تاريخ الاستاذ الامام

(للترجمة بقية)

﴿ شيخ الازهر الجديد ﴾

لما توفي الشيخ البشري كثر القيل والقال في الازهر في ترشيح خلف له وسرى ذلك الى سائر معاهد العلم الديني التابعة للازهر والى غيرها واشتهر أن الازهريين رشحوا أربعة أشياخ كل منهم له حزب رشحه ، وسعى له سعيه ، وقد كتب بعضهم مقالات الى الجرائد يطعن فيها ببعض، منها ما نشر ومنها ما لم ينشر ، واتسع الوقت للخوض في ذلك

بأن البشري توفي قبيل عطلة عيد الاضحى ولم يتعين الخلف له الا بعد انتهائها فقد صدرت الارادة بتعين الشيخ محمد أبي الفضل الجيزاوي شيخ معهد الاسكندرية شيخا للازهر ورئيسا لمجلس المعاهد الدينية الاعلى في يوم الاثنين لاربع عشرة خلت من شهر ذي الحجة الحرام ، وهو أكبر علماء المالكية بعد البشري سنا ومن أشهر علماء الازهر في العلم والمحافظة على آداب الشيوخ وشمائلهم، ويقال انه في العقد الثامن من العمر ، وقد سبق له الاشتغال بادارة الازهر إذ كان أحد أعضاء مجلس ادارته في مشيخة الشيخ حسونه النواوي ثم عين وكيلا للازهر وبعد قليل من الزمن عين شيخا لمعهد الاسكندرية. فنهنئه بأكبر منصب يرتقي اليه شيوخ العلم الديني بمصر ونسأل الله تعالى ان يوفقه ويسدده فيه ويجعل لاحياء علم السنة ومقاومة البدع أفضل حظ من عنايته

عبر التاريخ

ما قيل في فتح الانكليز لبغداد

قالت جريدة المقطم في فاتحة مقالة طويلة نشرت في صدر العدد الذي صدر في ١٩ جمادى الاولى سنة ١٣٣٥ — ١٣ مارس سنة ١٩١٧

«قضي الامر في العراق وسقطت بغداد عاصمة الخلفاء العباسيين ومباءة مجدهم وعنوان فخرهم، واستولى البريطانيون على منبت أثلة المنصور والمهدي وهرون الرشيد والمأمون وموئل العلماء والشعراء والادباء في عصر الشرق الذهبي الحديث. أي ذكرى تهيج في خاطر العربي اذا ذكر اسم بغداد والزوراء ودار السلام ؟ بل أي مجد يتحلى لعينيه عند سماع اسمها من دولة عظيمة الاركان، متينة البنيان، قامت على العدل والنظام والعلم والامان ، وشعب ناهض ناشط لطلب العلم واتقان الصناعة وترويج التجارة، وتوسيع نطاق الزراعة وبسط السيادة ، واضاءة مصباح العلم لتمزيق دياجير الظلام . بغداد دار العلم والمجد وبغداد مقر العظمة والثروة وبغداد عاصمة العرب وقاعدة الشرق

«هذا ارث مجيد ظل بيد الشرقيين اثني عشر قرنا شاهداً ناطقاً بعظمة أسلافهم يناوح خرائب بابل وآثار نينوى حتى صار أمره الى الاتحاديين فضاع منهم كما ضاع سواه ، وصارت بغداد في يد من يعرف قيمتها ويقدرها حق قدرها